

كنعان النشرة الإلكترونية
Kana'an – The e-Bulletin

السنة الثامنة – العدد 1723

30 تشرين الثاني (نوفمبر) 2008

في هذا العدد:

- كلمة بصدد السياسة فن الممكن، آرا خاجادور.
- الجيش والدولة والسلطة والسياسة في الوطن العربي، بسام الهلسه.
- شيء من التاريخ.

<http://www.kanaanonline.org/articles/01723.pdf>

* * *

كلمة بصدد السياسة فن الممكن
آرا خاجادور

نلاحظ هذه الأيام إستخداماً عاصفاً لعبارة سليمة هي - السياسة فن الممكن - التي إستخدمها قادة القوى الإشتراكية العالمية في مطلع القرن الماضي، وترددت أصدائها في أوساط حركة التحرر الوطني تارة لعرض صورة الحال وأخرى للتبرير الإنتهازي أيضاً، وقبل هذا وذاك جاءت هذه الحكمة في الأقوال الشعبية، وفي الكتب السماوية؛ بالنص المباشر أو في بالمعنى العام. نريد الآن التوقف عند حالة معينة من الإستخدام الواسع حالياً لهذه الحكمة الصائبة، والتي لا إعتراض عليها وفق إعتقادنا، نتوقف عند ما نراه يمثل محاولة لتحويل الحكمة الى إبتذال، أو إستخدام كلمة الحق لخدمة الباطل، أو وضع الشيء في غير موضعه المناسب.

إن المناسبة التي إنبرت فيها أقلام السوء هي مناسبة توقيع الحكومة التي نصبها الإحتلال على المعاهدة الأمريكية - العراقية، وإحالتها الى "البرلمان" لييصم عليها، أو لا ييصم حسب مخطط الألاعيب الغيبية لآخر نفس في إدارة العدوان، وهي أي المعاهدة مجرد طبعة جديدة لمعاهدة بورتموث الإسترقاقية، أو صورة ثانية مشوهة لها، وهي طبعاً أكثر بغياً وظلاماً، وهي في ذات الوقت أعلى ثمناً للشعبين العراقي والأمريكي معاً، ولا أستثنى طبعاً شعوب المنطقة والعالم

- 1 -

أجمع من دفع الأثمان المادية والمعنوية من جراء مقدمات هذا الهدف العدوانى الطامع، هذا فضلاً عن خطرهما على الإستقرار الدولى ومصالح الشعوب.

وقد يسأل من هو ليس على معرفة بموقفنا من القضايا الوطنية عن موقفنا من المعاهدة البائسة نفسها، نقول: إن موقفنا من الإحتلال العدوانى واضح وضوح الشمس فى ربيع العراق، وهو بايجاز: إننا لم نرفض الإحتلال ونقاومه فقط، وإنما رفضنا ونرفض كل ما أنتجه من قرارات وقوانين وتشريعات ودستور وإنتخابات ومجالس نواب وحكومات وأية إتفاقيات ومعاهدات، ولن نقبل بأية معاهدة أو إتفاقية ما لم تكن مع ممثلى الشعب الحقيقين، وقلنا للغزاة من اليوم الأول للإحتلال الغاشم إن العار سوف يلحق بكم، وعندما طُرح التفاوض أو غيره قلنا، توجد نقطة واحدة للمفاوضات هي الإنسحاب من أرضنا.

ونعود الى إنتهازية "فن الممكن" المطروحة من جانب خدم الإحتلال وكتابه ومرترقته وأحزابه ومنظمات مجتمعه المدنى وكل أصناف الرذيلة المتبقية، التي ترى "فن الممكن" بأربعة ملايين مشرد، وأكثر من مليون أرملة، وفي إغراق السجون بالضحايا، وتعذيب النساء والأطفال والإغتصاب والجريمة المنظمة وسرقة المال العام وتغذية كل عناصر التخلف من كل أنواع التعصبات القومية والمذهبية والدينية الى كراهية وإحتقار الوطنية العراقية، وسلب حقوق الناس ولا نقول حقوق الكادحين والفقراء من عمال وفلاحين ومشردى المدن صغيرها وكبيرها فقط، ومن زاخو والى الفاو.

لماذا نقول هنا إن فن ممكنهم إكذوبة بصدد المعاهدة الحالية، نقول ذلك لأن هذه المعاهد تأتي وتُصنع بين عناصر طرف واحد، هو الإحتلال وعمالؤه والمتواطئون معه، وليس بين طرفين. إن كل معاهد توقع بين المحتل أي محتل والحكومة التي يخلقها بذراعه العسكرى معاهدة باطلة من حكومة باطلة، ولا يمكن لشعب العراق أن يحترم أو يثق أو يبارك معاهدة لا توقع مع الأطراف التي دافعت عن السيادة الوطنية للشعب العراقى من مواطنين نظيفى اليد والضمير والتاريخ والعطاء والعمل والأخلاق، إن معاهدة اليوم تُمثل إتفاق مصالح غير مشرف بين الإحتلال والمتواطئين معه، ومع من تدفعهم إيران لمصالح أنية ضيقة وغير مجدية لإرتكاب هذه الخيانة السافرة والقبيحة.

إتضح اليوم الخيط الأبيض من الأسود، وفشلت كل أو على الأقل معظم مخططات إحقاق المقاومة الباسلة لشعبنا بكل أنواعها بالإرهاب الذي لا يخدم إلا الإحتلال نفسه وخدمه أيضاً، إن المعاهدة الحالية التي يصفون الإقدام عليها بالفن الممكن فى السياسة، هي فى الواقع تمثل حركة بائسة للغاية لمد عمر الإحتلال. أن المقاومة الوطنية هي التي أرغمت الإحتلال على تقديم كل التنازلات التي أرد المحتل من خلالها إيهام الشعب العراقى، ولكن المقاومة مستمرة حتى الظفر الأخير، وقد وصلت تراجعات المحتل حد الإعلان عن جدول للإنسحاب، ولكن الشعب لن يقبل بأقل من إنسحابه مع بضاعته الفاسدة - العملاء الذين إستجلبهم معه - إسوة بألياته وبقية تجهيراته

المادية والمعنوية. نعم هنالك حالات عديدة لتوقيع الإتفاقيات والمعاهدات بين الدول، وتكون هذه الدول إما دول ذات سيادة كاملة، ومعتترف بها أولاً من قبل شعوبها، ومن قبل المجموعة الدولية، أو أن المعاهدات توقع مع المقاومة التي أجبرت المحتل على الإنسحاب.

ويلاحظ المتابعون لحركة المقاومة الشعبية في العراق تصاعد تلك المقاومة وإتساعها نوعاً وكماً لتشمل الوطن كله، وتنبسط من أعلى أشكالها؛ المقاومة بالسلاح الي تنامي المقاومة العمالية من أجل السيادة والحقوق، وهنا نشدد دعوتنا للعمال للتحالف من فئات الشعب الأخرى الأقرب وبصفة خاصة الطلاب والمتقنين، ولنا في تاريخنا الحديث خير ملهم، وعلى المثقفين تحديداً والأحزاب الوطنية حقاً أن تشدد نضالها مع العمال، وتساعد في إيصال صوتهم الى العالم لأنه من المؤلم حقاً أن تكون مبادرات التضامن مقتصرة على حركات العمال التقدمية الأجنبية.

ينبغي التمييز بين من وافق بريمر على إقتصاد السوق الرأسمالي، ووقع وتعاقد معه وهو يدعي الإشتراكية، أو من ظل ينبج ضد الشيطان الأكبر ثم مارس خدمة هذا الشيطان طواعية وبحماسة قلّ نظيرها وبين ذلك الجندي العراقي الذي إستخدم سلاحه للدفاع عن كرامة سيده عراقية، وذلك الجندي الذي فعل ذات الشيء دفاعاً عن كرامة الشخصية، وهذه صورة خلاقة لفن الممكن، أقول لقوى الثورة العراقية علينا إستخدام فن الممكن بموضوعية وشرف ومسؤولية وتقدير كل حالة بحدود واقعها، كما تحرص الأم على أبنائها، إن دماء العراقيين غالية، إنها دماء شعب ينفرد به وحش كاسر ومطلق الذراع إلا من يد الرفض العراقية التي تقاوم وقلوب أشقائه وشرفاء العالم، لنقلص دائرة أعداء الشعب والسيادة الوطنية الى أضيق دائرة ممكنة، وبأعلى درجات التسامح والموضوعية، وتمثل ظروف الآخر بروح إنسانية، ولكنها في الوقت ذاته حذرة ووثابة.

إن فن الممكن الذي تطرحونه يا خدم الإحتلال هو غربال أعجز من أن يغطي أهدافه الحقيقية، وجاء لإهداف لا تنطلي على من يعرف مصالح شعبه، وهذه ربما آخر بضاعة في جعبتكم لتسويق أنفسكم لأسيادكم البعيدين والقريبين، واعلموا أنكم بدعوتكم الى فن الممكن لن تستطيعوا تسويق المعاهدة وإنما كشفتم حالتكم الهلعة، وعرفنا الكثير من أسرار مآزقكم. إن فن الممكن هو المقاومة وإنزاع التنازلات، وعدم التنازل عن السيادة الكاملة.

ومن منطلق فن الممكن في السياسة ايضاً فإن القوى الوطنية في الوقت الراهن غير معذورة عن أي مظهر للتفرد أو الإنعزال أو تكليف الأنفس بما ليس في وسعها أو التطرف، أو التعويل على التحالفات خارج صفوف الشعب، أو التوهم بالمساومات غير المنتزعة بإرادة قوى الشعب العراقي، أو التقاعس أزاء توفير مستلزمات وحدة الشعب وفتح الأمل الواقعي والصادق أمامه.

(***)

الجيش والدولة والسلطة والسياسة في الوطن العربي*

"مساهمة في النقاش"

بسام الهلسه**

توضيح:

- رغم أن عنوان المساهمة لا يحدد المدى الزمني للموضوع، إلا أن السياق يدل بوضوح على أن المقصود هو الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة. وبالتالي لا مجال للحديث عن الجيش -أو الجيوش- والقوى المسلحة عموماً التي ظهرت في العهود التاريخية السابقة. وكنا قد تناولناها مؤخراً في مطالعة خاصة بمناسبة الذكرى المئوية لانقلاب "الإتحاد والترقي العثماني (1908م-2008م) ونُشرت بعنوان: (منذ مئة عام... عسكر إنقلاب).
- كذلك لن نتناول هذه المساهمة "الجيوش الأجنبية" التي تواجدت -أو التي لازالت متواجدة- في الوطن العربي بأشكال متعددة: احتلال مباشر، قواعد عسكرية، أساطيل حربية في المياه العربية، مستشارون وخبراء... والتي أثرت وتؤثر في مسارات الأحداث على ما هو معروف. فهذه الجيوش وأدوارها تدرس في إطار التدخل والغزو والسيطرة الاستعمارية والإمبريالية متعددة الأطراف لبلادنا.
- وإذ انحصرت مهمة المساهمة في "الجيوش النظامية الحديثة" فإنها قد استبعدت التشكيلات والوحدات والقوى المسلحة التالية:
 - القبائل المحاربة التي أدت دوراً سياسياً في القرنين الماضيين في بلدان عربية مختلفة، سواء في مواجهة الاستعمار (الجزائر، السودان، المغرب، اليمن، الخليج، ليبيا...) أو في الثورة العربية ضد الأتراك، أو في تكوين الدول كما في الجزيرة العربية والخليج والأردن. وكان قسم مهم منها في أساس قوام جيوش هذه الدول.
 - الجيوش السلطانية ذات النظم القديمة (كما في المغرب قبل الاستقلال، واليمن إلى ما قبل الثورة).
 - المنظمات والتشكيلات المسلحة في ثورات التحرر الوطني والمقاومة العربية ضد الاستعمار التي قامت -وتقوم- بأدوار مهمة في الدفاع عن الوطن وبعث الشخصية الوطنية. وشكل بعضها نواة وقيادة الجيوش الوطنية بعد الاستقلال (الجزائر، اليمن الجنوبي...).
 - الميليشيات المسلحة ذات الولاءات الخاصة (الحزبية، الطائفية، العرقية، المناطقية، العائلية...) -رغم التباين في توجهاتها- المنخرطة في صراع داخلي على النفوذ والحصص في عدد من الدول العربية؛ حيث يعود المجتمع إلى مكوناته الأولى ما قبل الوطنية الجامعة، والتي ظهرت نتيجة انهيار أو تفكك أو ضعف الدولة المركزية ومؤسساتها وخاصة الجيش، سواء بفعل عوامل داخلية أو خارجية أو كليهما

معاً. وبرغم أهمية هذه الموضوعات التي تعزز معرفتنا بها فهمنا للقوى التي أسهمت
-وتسهم- في تشكيل تاريخنا وحاضرنا؛ فإن المجال لا يتسع لها في هذه المساهمة.

* * * * *

* كان تدخل الجيش المصري في السياسة بقيادة الضابط "أحمد عرابي" (عام 1881م)
حدثاً استثنائياً في القرن التاسع عشر. فقد كان الجيش المصري هو الجيش الوحيد -في قطر
عربي- المبني على أسس عسكرية حديثة. وكانت مصر هي القطر الوحيد الذي تشكّل كدولة
حديثة أيضاً، تتمتع بقدر ملحوظ من الاستقلال، في محيط من الولايات التابعة مباشرة للدولة
العلية العثمانية، أو الكيانات السلطانية، أو الإمارات والمشيخات القبلية. وإلى جوارها كانت
مناطق الاستعمار الغربي قد بسطت احتلالها على قطرين عربيين: فرنسا في الجزائر (1830م)
وبريطانيا في عدن (1837م).

* * *

لكن ما كان استثناءً في القرن التاسع عشر -تدخل الجيش في السياسة- سيغدو القاعدة
في القرن العشرين ابتداءً من انقلاب "الاتحاد والترقي" العثماني في العام (1908م) الذي تأثر
به العرب -خصوصاً في المشرق- سواء من حيث مشاركة ضباط عرب في الانقلاب، أو من
حيث تأثرهم بالسياسات التي تبناها الإتحاديون ودفعت بهم إلى تكوين منظماتهم القومية
العسكرية السرية الخاصة (كالجمعية القحطانية، والعهد) ثم مشاركتهم في الثورة العربية
(1916م) لنيل الاستقلال، وصولاً إلى مساهمتهم في بناء الدول والجيش التي تكونت غداة
الحرب العامة الأولى.

وكما أحبط الغزو البريطاني لمصر حركة عرابي ورفاقه الوطنية ومطالبهم الإصلاحية،
أحبط الاتفاق البريطاني الفرنسي المعروف بـ"سايكس-بيكو" و"سان ريمو" وما نتج عنه من
احتلال، آمال وتطلعات العرب بالتححرر والنهضة.

* * *

ولسوف يمر وقت قبل أن تنال الأقطار العربية استقلالها السياسي تباعاً، وتباشر جيوشها
الحديثة الناشئة تدخلها في السياسة.

البداية الجديدة كانت في العراق، الذي كان أول قطر عربي ينال استقلاله في العام
1932م، بانقلاب "بكر صدقي" في العام (1936م)، الذي كان إشارة البدء لتدخل الضباط
العراقيين في الشؤون السياسية والعامة، حتى بلغ ذروته بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، على
أيدي الضباط القوميين الذين لقبوا بـ"المربع الذهبي" ورفضوا تشكيل "حكومة الدفاع الوطني"
برئاسة "رشيد عالي الكيلاني"، التي شنت عليها بريطانيا الحرب وأسقطتها في أيار-مايو
1941م.

وفي جنوب غرب الجزيرة العربية، في "اليمن" حيث كانت "الدولة المتوكلية" تغطي في
سبات القرون، جرت أول محاولة انقلابية بعد الحرب العالمية الثانية، في العام 1948م بقيادة
"عبدالله الوزير".. لكن الضباط السوريين هم الذين سيتصدرون متواليات الانقلابات العسكرية
منذ ربيع العام 1949م (انقلابات: الزعيم، الحناوي، الشيشكلي).

ثم افتح "الضباط الأحرار" المصريون النصف الثاني من القرن العشرين بانقلاب العام 1952م، ليتوالى من بعد تدخل الجيوش العربية بكل أشكاله: الضغط، التمرد، الاستيلاء على السلطة، تقرير السياسات والتوجهات، تغيير هياكل الدولة وهويتها... الخ. وفيما عدا دول الخليج ذات الجيوش القبلية والمنتقاة، والتي مكنتها عوائد النفط الهائلة من السيطرة على التوترات الداخلية وتفريغها، إضافة إلى المتابعة الحثيثة من جانب الدول الكبرى ذات المصالح في المنطقة التي لا تسمح -حيثما استطاعت- باللعب بالنار قرب النفط؛ فإن الدول العربية الأخرى قد شهدت أشكالاً متعددة من تدخل الجيش وضباطه، الأمر الذي يعني وجود ظاهرة عامة تستدعي الدرس لفهمها، قبل إصدار الأحكام الأخلاقية المؤيدة لها أو المنددة بها.

* * *

فعلى الرغم من الأهمية البالغة لمكانتها وللدوار المتعددة التي قامت بها في النواحي المختلفة للحياة العربية -خارج وظيفتها الأصلية المتعلقة بحماية الوطن والدفاع عنه-، ورغم تأثيرها الكبير في مجمل التطورات التي مرت وتمر بها الأقطار العربية، فإن الدراسات "العربية" المخصصة للجيوش لا تبدو كافية -إن لم نقل محدودة- كما هي الحال أيضاً في الدراسات المخصصة للقوى الأخرى التي أدت أدواراً مميزة -وإن متفاوتة- في الحياة العربية كالمثقفين والقبائل...

ومع إدراكنا لـ "حساسية" تناول هذه الموضوعات التي تصل في بعض البلدان درجة حظرها، فإننا نعتقد أن قسطاً من المسؤولية يقع على عاتق الدارسين والباحثين العرب -مؤسسات وأفراد- سواء منهم الذين يميلون إلى تناول "السهل وال متاح" من جهة، أو الذين تفودهم توجهاتهم الأيديولوجية والبحثية السائدة إلى اهتمامات أخرى. في الآونة الأخيرة جرى النظر إلى الجيوش -خصوصاً من قبل النخب- من زاوية موقفها ودورها تجاه المطالبات المتزايدة بتعظيم دور المجتمع المدني، وتوسيع نطاق الحريات، وتفعيل وظائف مؤسسات الدولة السيادية، واعتماد الديمقراطية، وتكريس حقوق الإنسان.

وفي ضوء بقاء فلسطين والاراضي العربية محتلة، واستمرار التعديات والعنف الإسرائيلي، واحتلال العراق والصومال، والعدوان على لبنان، وتهديد السودان، جرى النظر من جانب القطاعات الشعبية العربية العريضة إلى الجيوش من زاوية موقفها من هذه التعديات على الأمة والوطن، والتساؤل عن جدارتها بالنهوض بما يجب. ومع التركيز على هاتين النظرتين، توارت -وإن لم تختف كلياً- النظرات القديمة للجيوش العربية كمعبرة عن الهوية والإرادة الشعبية، وكبانية للدولة والأمة وقائدة لعملية التحديث والتنمية...

وهي نظرات مُستمدة غالباً من "النموذج الناصري"؛ الذي ما زال يحظى بالإهتمام والمراجعة، ويثير مشاعر الشوق والحنين.

* * *

لم تتوار هذه النظرات من الخطابات السياسية العربية فقط، بل توارت معها الجيوش أيضاً من واجهة المشهد السياسي في الدول العربية التي شهدت تدخلها سابقاً، باستثناء تلك التي تمر بمرحلة صراع كالجزائر والسودان، أو تلك التي تمر بمرحلة تحول اجتماعي واستقطاب حاد: موريتانيا.

فبعدما أنجزت مهامها في الظفر بالسلطة، ودحرت أصحابها القدامى: الباشاوات والأعيان وكبار التجار وشيوخ القبائل والرأسمالية التجارية الكبيرة والشركات الأجنبية، وقوضت أسس قوتهم من خلال الإصلاح الزراعي والتأميم وتعميم التعليم؛ وزادت ووسعت نطاق مؤسسات الدولة وأجهزتها؛ ودمجت "الجماعات" المتعددة المبعثرة (الفلاحين، البدو، سكان المدن) في منظماتها الجماهيرية وحزبها ومشاريعها التنموية؛ وبعدها وطدت أركان مؤسستها بالذات - أي الجيش - وضاعفت قوتها، ووضعت رجالها في مراكز الدولة الأساسية، عادت الجيوش إلى مقارها وتكناتها مطمئنة، محتفظة لنفسها - عبر قادتها - بحق الرأي والتقرير في الشؤون الأساسية.

وبدلاً منها تولت الأجهزة الأمنية رصد وتتبع الحياة السياسية وضبطها في مختلف الدول العربية أياً كان نظامها (تستثنى لبنان)، مع تفاوت فيما بينها يتصل بدرجة حدة الصراع ومصدر السلطة في كل دولة.

فبدل الضابط الذي كان يخطب غاضباً محرضاً في الستينيات من القرن الماضي، حل رجل الأمن الهادئ الممسك بالملفات في مكتبه المنزوي. وبدل المثقف المُنظر حليف الضابط القديم، حل التقني أداة سادة المجتمع الجدد: رجال وسيدات الأعمال.

* * *

وبالطبع لم يجر توارى الجيوش وانسحابها من الواجهة عرضاً.. فمع معرفة الظافرين بالسلطة بمصائر من سبقوهم ومن إنقلبوا عليهم، وللتأكد من أن الجيوش لن تعود للانقلاب عليهم، فقد قاموا بابعادها بعد توطيد السلطة والتخلص من المنافسين وتولية المواليين. ولتعزيز التأكد أكثر، قاموا ببناء جيوش وقوى مسلحة موازية موثوقة ترتبط بهم بأشكال الولاء العضوي: (العائلة، الأصهار، القبيلة، المنطقة، الطائفة، الولاء الشخصي، زملاء الوفاة الواحدة... الخ). وهي حالة مرئية في كل البلاد العربية كما هو معروف. وبالتلازم مع هذه التدابير عُرِّزت الامتيازات الممنوحة للجيوش وللضباط بما يضمن امتصاص وتطويق التذمر المحتمل، والبقاء بمنأى عن تقلبات الأحوال العامة. ولا يستثنى من هذا الوضع أي جيش عربي سواء كان جيشاً شعبياً، أو مهنياً، أو نخبويّاً انتقائياً، أو قبلياً.

وعلى هذا استقرت الأوضاع في الدول العربية بعد "سنوات الغليان" العاصفة، باستثناء الدول التي لم يكتمل بعد اندماجها الاجتماعي - الاقتصادي ذو الانماط المتعددة: الريفية والرعوية والمدينية (السودان - موريتانيا)، مما يشير إلى انتهاء مرحلة تاريخية نتج عنها تكوّن وتوطّد الدول المركزية الوطنية القطرية من جهة؛ وانبثاق وتكون الهويات والشخصيات الوطنية القطرية؛ واندماج "الجماعات" الأهلية المتعددة والمتنافرة في "مجتمع"؛ وإنجاز عملية

التحديث وبناء أسواق وطنية - بطرق وأشكال وأدوات ومستويات متعددة- إثر تصفية التشكيلات الاقتصادية- الاجتماعية القديمة المبعثرة: الفلاحية، والرعية، والحرفية المدنية.

كانت مباشرة مهام هذه المرحلة التاريخية المعروفة باسم " النهضة " (بما تعنيه من شروع في الانتقال من عالم العصور الوسطى إلى العالم الجديد؛ عالم تكوين الدول والأوطان والأمم، وهي المرحلة التي عبرتها أوروبا الغربية خلال قرون سابقة) قد ابتدأت في مصر في القرن التاسع عشر كما سبق وأشرنا، وعمّت الأقطار العربية الأخرى في القرن العشرين بدرجات وأوقات مختلفة، وانخرطت فيها كل القوى الاجتماعية، هي التي تفسر برأينا ظاهرة تدخل الجيوش من حيث هي القوة الأكثر قدرة وتنظيماً وانضباطاً (وحدثة أحياناً)، بين سائر القوى التي انخرطت في سياقات تشكيل الدول والأوطان والأمم وإعادة تشكيلها وفقاً لمصالحها وقدراتها وظروفها وعقائدها وصولاً إلى مستوى الدولة المركزية الحديثة.

وإنجاز قسم مهم من مهام هذه المرحلة -بهذه الدرجة أو تلك- هو ما يفسر جانباً من "انكفاء الجيوش" و"حالة الاستقرار" الغالبة في معظم البلاد العربية. أما الجوانب الأخرى المفسرة لحالة الانكفاء والاستقرار، فتتعلق بتراجع الدول الكبرى الفاعلة التي كانت تصارع للسيطرة على بلادنا واقتسامها، عن أسلوب استخدام الضباط والجيوش كأداة لتنفيذ مخططاتها لأسباب عديدة؛ وتراجع وتيرة صراع المحاور الإقليمية البينية العربية (أو الصراع الثنائي بين عدد من الأقطار العربية). فهذه العوامل كان لها دورها في تحريض الجيوش واستخدامها في الصراع ضد الخصوم.

ومن يستعرض وقائع التدخلات والانقلابات العسكرية العربية سواء الناجحة منها أو المخففة، يعرف أن قسماً منها كان مرتبطاً بأحد هذه العوامل أو بمزيج منها.. مثلما يعرف أن بعضاً منها كانت تحفزه منافسات الجماعات والأجنحة والمطامح الفردية للاستحواذ على السلطة.

وهو أسلوب قد نشهد ظهوره مجدداً إذا ما تبدلت الظروف وغيرت الدول الكبرى الفاعلة تكتيكاتها؛ أو إذا ما عادت صراعات المحاور للظهور...

وقد يجري استخدام هذا الأسلوب خصوصاً في الدول التي تعاني ضعفاً في بنيتها المركزية وتماسكها الداخلي، وهما اللذان تشكل وحدة الجيش أحد أهم ركائزهما.

* * *

رأينا مما سبق، أن التصدي لمهام مرحلة " النهضة " -و"التحديث" أيضاً-، والصراع الذي احتدم في المنطقة وعليها، قد اجتذبا كافة الطبقات والفئات إلى حومة الحياة السياسية. وكان للفئات الوسطى بشرائحها ومكوناتها المختلفة، وبضمنها- وفي طليعتها أحياناً- الجيوش، النصيب الوافر من حيث الإسهام ومن حيث العوائد.

وهو ما يعلل، إضافة إلى التدخل الخارجي الفعال، والصراعات القطرية، والبينية العربية، مستوى وحدود الإنجازات التي تحققت والتي ظلت دون مستوى تطلعات وآمال وتضحيات أجيال شعوب الأمة؛ خاصة بعد التراجعات التي جرت عما تم إحرازه، إثر عملية الفرز والتحول العميق في صفوف وبنية وأهداف ومصالح القوى الاجتماعية العديدة التي

خاضت النضال في القرن الماضي، وأدت إلى تمايز مواقفها إزاء متابعة تحقيق مهمات "المرحلة القومية الديمقراطية" التي رفعت شعاراتها وراياتها من قبل، وهي: إكمال تحرير واسترداد الأراضي العربية المحتلة، بناء سوق واقتصاد قومي، العمل على إرساء المواطنة والديمقراطية والعدالة، بناء وتطوير وتفعيل مؤسسات العمل العربي المشترك كخطوات ومحطات في طريق الوحدة، وتعزيز مكانة الأمة وشخصيتها الحضارية في العالم. وهي مهمات تدعو إلى ندائها كل أبناء وبنات الأمة المخلصين الذين يريدون لأنفسهم ولأمتهم ولبلادهم مصيراً آخر وحياة أخرى جديدة بكرامة الإنسان. ولسوف يكون من دواعي تقدير وثناء الأمة أن توازر جيوشها هذا النداء، لا بالانقضاء على السلطة، بل بمساندة شعوب الأمة في التعبير عن تطلعاتها وآمالها وانفاذ إرادتها الحرة، فيما تتكفل هي بواجبها المقرر: حراسة الوطن والذود عنه.

alhalaseh@gmail.com

* محاضرة قدمها الكاتب في "منتدى الفكر العربي" في عمان مساء يوم 2008/11/26م.
** كاتب من الأردن- معلق في الشؤون الثقافية والاستراتيجية.

(***)

شيء من التاريخ: نوفمبر

14 نوفمبر 1888: تأسيس معهد باستور، كمؤسسة خاصة غير تجارية، هدفها المعالجة والوقاية من الأمراض الجرثومية المعدية، وأصبح له 30 فرعاً في القارات الخمسة.

14 نوفمبر 1957: أعلن الإحتلال البريطاني عن منح الإستقلال لإمارة البحرين، مع بقائها تحت حمايته؟ في هذه الذكرى أصدرت حكومة البحرين قراراً يقضي بمنع أي معارض من الحديث عن أوضاع البلاد، في الخارج.

1968/11/21: في جزيرة غرينلاند التي تسيطر عليها الدنمارك، قريبا من إحدى القواعد الأمريكية، تحطمت طائرة عسكرية أمريكية ضخمة من نوع ب 52 ، وعلى متنها 4 قنابل نووية، ولم يتم العثور على أي قنبلة لحد الآن. لم تبلغ الولايات المتحدة الحكومة الدنماركية بوجود السلاح النووي، ولا الجنود ولا السكان الذين جندتهم الآلة العسكرية للبحث عن حطام الطائرة، بدون أي وقاية أو معدات خاصة. لم تعترف أمريكا إلا الآن بوجود السلاح النووي، وتدعي أن الإشعاعات اندثرت ولا يوجد أي خطر. ب.ب.س. 08/11/11

1967/11/22: صوت مجلس الأمن على "القرار 242" الذي يدعو الكيان الصهيوني إلى "سحب القوات المسلحة من أراض (غير معروفة في النسخة الانجليزية) احتلتها في النزاع (عدوان 67)". القرار لا يعترف بالشعب الفلسطيني، بل بلجئيين...

1936/11/25: ألمانيا النازية واليابان يوقعان على اتفاقية ضد الأممية الثالثة، تعهد فيها كل طرف بنجدة الثاني إن تعرض لهجوم من قبل الاتحاد السوفياتي. انضمت إيطاليا الى الاتفاقية في 6 نوفمبر 1937 واسبانيا في 27 مارس 1939.

1871/11/27: الجيش الاسباني يعدم ثمانية طلاب كوبيين ناشطين ضد الاحتلال. كانت اعمارهم تتراوح بين 16 و 21 سنة وجميعهم من كلية الطب بالهافانا.

المصدر: النشرة الالكترونية ل"حزب العمل الوطني الديمقراطي" التونسي، عدد 78 و 79، نوفمبر 2008، الموقع الالكتروني للحزب: <http://www.hezbelamal.org>

-
- الآراء الواردة في المقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي إدارة الموقع أو محرري "كنعان".
 - عند الاقتباس أو إعادة النشر، يرجى الإشارة الى "كنعان".
 - يرجى ارسال كافة المراسلات والمقالات الى عنوان "كنعان" الالكتروني: mail@kanaanonline.org
 - Please write to us or send your contributions to: mail@kanaanonline.org.
 - To visit Kana'an website, please go to: <http://www.kanaanonline.org>.
 - To subscribe to our mailing list, please send a blank e-mail message to arabic-join@kanaanonline.org.
 - To unsubscribe from our mailing list, please send a blank e-mail message to arabic-leave@kanaanonline.org.